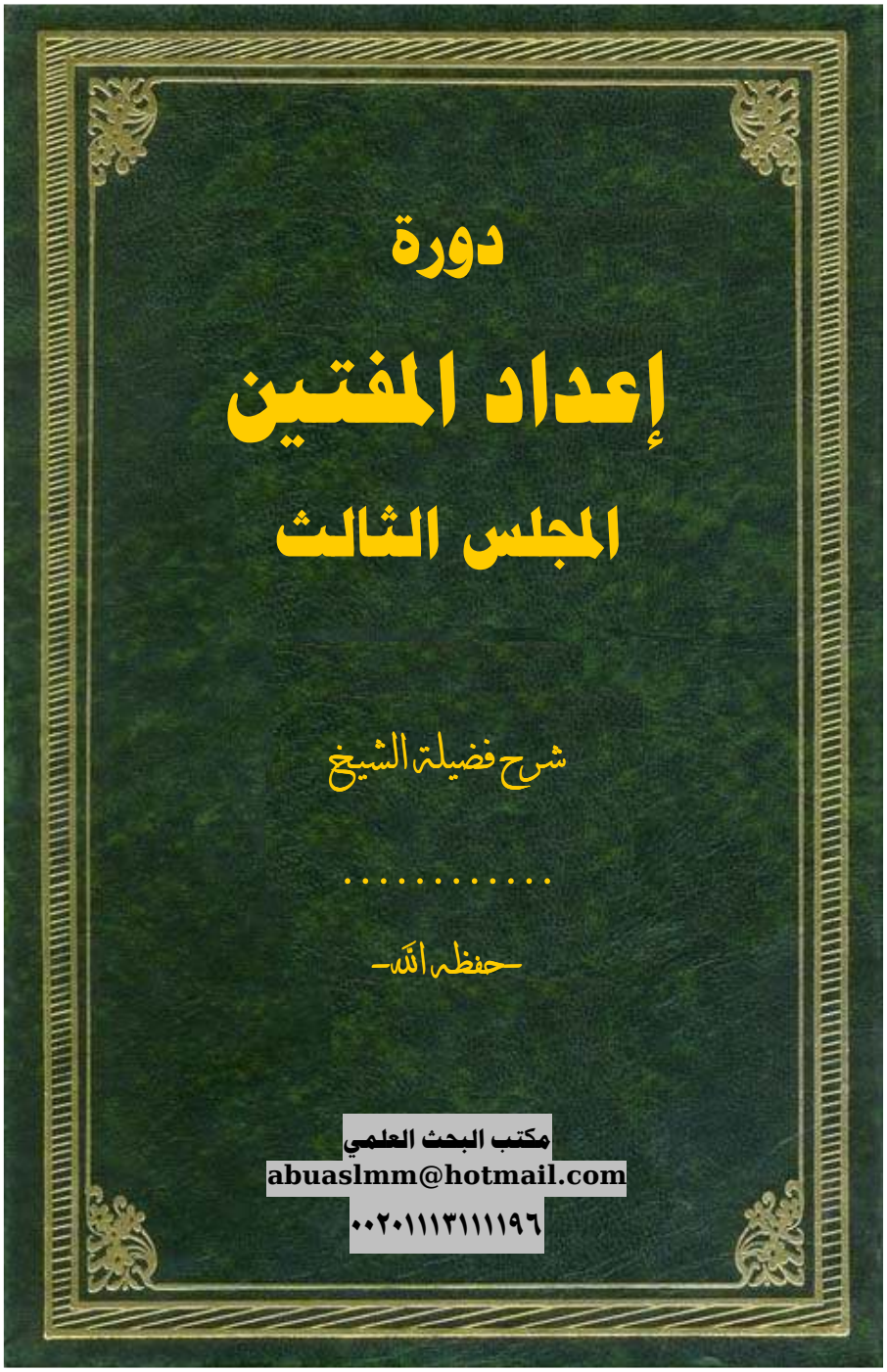
دورة
إعداد المفتين
المجلس الثالث
شرح فضيلة الشيخ
.....
-حفظه الله-
مكتب البحث العلمي
abuaslmm@hotmail.com
٠٠٢٠١١١٣١١١١٩٦

دورة

إعداد المفتين

المجلس الثالث

شرح فضيلة الشيخ

. . . . . .

-حفظه الله-

مكتب البحث العلمي
تفريغ صوتيات، إعداد كتب، رسائل ماجستير ودكتوراه
abuaslmm@hotmail.com
٠٠٢٠١١١٣١١١١٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد: -

فنواصل حديثنا عن المدخل إلى علم الفقه، وقبل أن أشرع في تقرير ما أريد تقريره الليلة أحب أن أنبه بعض التنبيهات اليسيرة حول الدورة، منها: -

- أنّا بدأنا في تنزيل الدروس على **"موقع الكرسي"** في أيقونة الروابط، من دخل على **"موقع الكرسي"** فإنه يذهب إلى أيقونة الروابط ويدخل ويجد الدروس هناك إن شاء الله ﷻ.
- ومنها: أنه بالنسبة لطلاب الجامعة الذين يحضرون معنا الدروس وفاتهم التسجيل سيُتاح لهم التسجيل إن شاء الله ﷻ، فيراجعون مقر الكرسي في كلية الشريعة إن شاء الله لتسجل أسمائهم بحول الله وقوته.
- الدورة إلى نهاية الفصل إن شاء الله ﷻ سيكون ترتيبها الزمني كما سمعتم سابقًا في يوم الاثنين ما بين العصر والمغرب الدرس عندي، وما بين المغرب والعشاء الدرس عند الدكتور سعود الجربوعي.

اليوم إن شاء الله ﷻ نتكلم عن المذاهب الأربعة، ثم بعد أن نفرغ منها سنتكلم عن مذهب الظاهرية، وذلك أن مادة الفقه في أغلبها إنما هي من المذاهب الأربعة ومذهب الظاهرية. فلابد للفقيه أن يكون عارفًا بهذه المذاهب الأربعة مدركًا للمدخل إليها، ثم سنختم المدخل في آخر المقام إن شاء الله ولعله في الأسبوع القادم بموضوع **"كيف تخطط لتكون فقيهًا"** وسنبسط القول

فيه إن شاء الله ﷻ، ثم سأفتح الأسئلة فيما يتعلق بهذا المدخل وأجيب عنها قبل أن ننتقل إلى المدخل إلى أصول الفقه إن شاء الله ﷻ.

أما المذاهب الأربعة فنتكلم عنها بحسب التاريخ الزمني فنبدأ بالمذهب الحنفي.

*** والمذهب الحنفي.**

إمامه هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي الكوفي التيمي، مولى لـ **"بني تيم"** يقال لهم: بني تيم الله بن ثعلبة. ويقال: إنه من أبناء فارس. أبو حنيفة -رحمه الله- ذكر بعض أهل العلم أن..، وجاء عن أبي حنيفة -رحمه الله- ما ينفي الرق عنه وعن أهله.

أبو حنيفة -رحمه الله- ولد بالكوفة سنة ثمانين من الهجرة، وهو إمام في الفقه بالإجماع، وقد اتُفق على إمامته في الفقه، وعلى أن قوله معتدٌ به في الخلاف فهو فقيه بلا مدافعة، ولم يرد أحد من أهل العلم قول أبي حنيفة -رحمه الله ﷻ- في الفقه.

وقد سُئل حماد بن أبي سليمان عن مسألة في الطلاق فأجاب عنها، وكان أبو حنيفة -رحمه الله- حاضرًا، فجعل أبو حنيفة -رحمه الله- ينازعه في المسألة وفي جوابه حتى سكت حماد، فلمّا قام أبو حنيفة قال حماد -رحمه الله-: هذا مع فقهه يقيم الليل.

انظروا سبحان الله حماد لمّا أجاب وهو فقيه فنازعه أبو حنيفة -رحمه الله- في المسألة وأخذ يحاججه حتى سكت حماد، لمّا قام أبو حنيفة -رحمه الله- أثنى عليه، ما أخذ في نفسه عليه لأنه دافعه في المسألة ونازعه فيها وهي مسألة فقهية، وإنما لمّا قال، قال: هذا مع فقهه وما رأيتم من فقهه فإنه يقوم الليل.

وقال شعبة بن الحجاج لمّا بلغه موت أبي حنيفة -رحمه الله-قال: لقد ذهب معه فقه أهل الكوفة.

وقال الحسين بن واقد قال: وقعت مسألة في مرو فلم أجد أحدًا يعرفها فجئت إلى العراق فسألت عنها سفيان الثوري فقال لي: يا حسين لا أعرفها. قال: فقلت: لا تعرفها وأنت إمام. فقال سفيان: أقول كما قال ابن عمر رضي الله عنهما **"سُئل عن شيء لم يدره فقال: لا أدري"**. فقال: لا أدري. قال: فأتيت أبا حنيفة فسألته عنها فأفتاني فيها فذكرت جوابه لسفيان فقال بعد أن سكت ساعة: يا حسين هو على ما قال لك أبو حنيفة. فصوب قوله في المسألة.

وقال الحسن بن صالح: كان النعمان بن ثابت فَهِمًا -فَهِمًا يعني فقيهًا- عالمًا متثبتًا في علمه إذا صح عنده الخبر عن رسول الله ﷺ لم يعده إلى غيره.

وقال سعيد: كان أبو حنيفة -رحمه الله- جهورًا بما يعتقد أنه الحق.

يقول سعيد بن أبي عروبة قال: قدمت الكوفة فحضرت مجلس أبي حنيفة فذكر يومًا عثمان بن عفان ﷺ فترحم عليه -ترحم عليه وهو في الكوفة في زمنه

وزمن فتنة- فقال: قلت له: وأنت يرحمك الله. فما سمعت أحدًا في هذا البلد يترحم على عثمان بن عفان غيرك. قال: فعرفت فضله.

والشافعي -رحمه الله- يقول: من أراد الفقه فهو عيال على أبي حنيفة.

فأبو حنيفة -رحمه الله- عُرف بالتدقيق في الفقه والرأي، واتفقت كلمة العلماء على إمامته في الفقه.

أبو حنيفة -رحمه الله- كان له تلاميذ نشروا علمه، والمعلوم يا إخوة أن فقهاء الأمة كُثر، لكن منهم من اندثر فقهه لأنه لم يكن له تلاميذ يحملون علمه وينشرونه، ومنهم من بقي فقهه وانتشر وظهر لأنه كان له تلاميذ حملوا فقهه ودونوه ونشروه وأذاعوه. والأئمة الأربعة -رحمهم الله- إنما انتشر فقههم وظهر بسبب أن الله ﷻ يسر لهم تلاميذ نجباء حملوا فقههم.

أبو حنيفة -رحمه الله- له تلاميذ مشهورون، من أشهرهم: -

أبو يوسف القاضي يعقوب بن إبراهيم الأنصاري. وكان قاضيًا، وكان الغالب عليه فقه أبي حنيفة -رحمه الله-، وإن كان يخالفه في مسائل كثيرة لأن أبا حنيفة -رحمه الله- كان يربي تلاميذه على الأخذ بالدليل وعلى العمل بالحديث فكان أبو يوسف -رحمه الله- مع كونه فقيهًا يأخذ بفقه أبي حنيفة -رحمه الله- يخالف أبا حنيفة في مسائل، وهو قد قضى لثلاثة من الخلفاء.

ومن تلاميذ أبي حنيفة المشهورين: زفر بن الهذيل العنبري ثم التميمي، وكان كبيرًا من كبار أصحاب أبي حنيفة، وكان مشهورًا بالفقه، وكان يقال: إنه

أحسن تلاميذ أبي حنيفة قياسًا، وكان خليفة أبي حنيفة -رحمه الله- في الحلقة، حيث خلفه في حلقته بعد موته.

ومن أشهر تلاميذ أبي حنيفة -رحمه الله- وهو أكثر تلاميذ أبي حنيفة -رحمه الله- إثباتًا لفقه أبي حنيفة -رحمه الله-: محمد بن الحسن الشيباني. وهو راوية فقه أبي حنيفة. وقد كان فقيهًا عالمًا، كتب عن مالك كثيرًا من حديثه، وعن الثوري، وعن غيرهما، ولازم أبا حنيفة -رحمه الله- ثم لازم أبا يوسف -رحمه الله-.

ومحمد بن الحسن عندما مات أبو حنيفة -رحمه الله- كان عمرة ثمانية عشر عامًا، ومع ذلك فأكثر من روى فقه أبي حنيفة -رحمه الله- هو محمد بن الحسن لأنه كان ملازمًا لأبي حنيفة -رحمه الله-، وكان الشافعي يثني على محمد بن الحسن ويفضله وكان يقول: ما رأيت رجلًا سمينًا أعقل منه. ومحمد بن الحسن كان ثقيلًا الجسم -رحمه الله-، كان سمينًا.

فالشافعي -رحمه الله- يقول: ما رأيت رجلًا سمينًا أعقل منه، وكان مشهورًا بالفصاحة فكان فصيحًا جدًا -رحمه الله-، وهو كما قلت: أشهر من وأكثر من نشر فقه أبي حنيفة -رحمه الله-.

العلماء يقولون: إن مذهب الحنفية مر بثلاثة أدوار: -

- **الدور الأول:** دور النشوء والتكوين. وهذا يبدأ من عصر الإمام وعصر تلاميذه إلى وفاة الحسن بن زياد اللؤلؤي في سنة مائتين وأربعة من الهجرة.

- **والثاني:** طور التوسع والنمو. ويمتد من وفاة اللؤلؤي إلى وفاة الإمام عبد الله النسفي وهو توفي سنة سبعمائة وعشرة من الهجرة، ويلقبه كثير من العلماء بـ **"خاتمة مجتهدي المذهب"**.
- ثم دور الاستقرار ويمتد إلى يومنا.

أما دور النشوء والتكوين: فالإمام أبو حنيفة -رحمه الله- لم يؤثر أنه ألف كتابًا في الفقه، لكن اهتم تلاميذه بجمع آرائه التي كان يقولها في دروسه، وأكثرهم اهتمامًا بالتكوين كما قلنا: الإمام محمد بن الحسن الشيباني. فألف ما يُعرف في المذهب بكتب **"ظاهر الرواية"** وهي الكتب الثابتة عن محمد بن الحسن ثبوتًا معلومًا وهي كتاب **"المبسوط"**، **"المبسوط"** لمحمد بن الحسن ويسمى بـ **"الأصل"**، وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله، **"الجامع الصغير"**، **"الجامع الكبير"**، **"السير الصغير"**، **"السير الكبير"**، **"الزيادات"**. هذه الكتب تُسمى في المذهب بكتب **"ظاهر الرواية"**.

كما ألف كتبًا أخرى دون هذه الكتب منها **"الجورجانيات"** التي يقال: إنه جمعها في **"جورجان"**، ومنها **"الكيسانيات"** التي رواها عنه سليمان الكيساني، ومنها **"الهارونيات"** التي يقال: إنه كتبها رجل يقال له: هارون. وقال بعض الأحناف: إنه جمعها في زمن هارون الرشيد. وكذلك هناك **"الرَقِيات"** وهي مسائل جمعها في **"الرَقَّة"**، وكذلك هناك كتاب **"النوادر"**، **"والحجة على أهل المدينة"**.

وألف القاضي أبو يوسف عددًا من الكتب منها: **"الأمالي"**، **"الآثار"**، **"النوادر"**.

وألف الحسن بن زياد اللؤلؤي كتاب **"المجرد"**.

في هذا الزمن نجد أن الذين ألفوا في الفقه الحنفي هم تلاميذ أبي حنيفة -رحمه الله-، وكتب التلاميذ في المذهب الحنفي ليست على درجة واحدة بل هي على درجات وهي أصل المذهب.

- **فأقواها الطبقة الأولى** وهي المسماة كما قلنا: بمسائل ظاهر الرواية. المسائل التي جمعها محمد بن الحسن الشيباني. وهذه هي أقوى الكتب التي يؤخذ منها المذهب الحنفي.
- **الطبقة الثانية:** ما يسمى بمسائل النوادر. وهي المسائل المروية عن أصحاب المذهب لكنها ليست في الكتب الستة المذكورة. فهذه الطبقة الثانية.
- **والطبقة الثالثة:** الواقعات والفتاوى. الواقعات أو الفتاوى التي جمع أو استنبطها المتأخرون في المسائل التي لم يجدوا للأصحاب فيها رأيًا. هذه ثالث الكتب.

إذًا عندنا الطبقات ثلاث طبقات: طبقتان: هي كتب التلاميذ. ظاهر الرواية وهذه الأصل، ما كتبه محمد بن الحسن، وأبو يوسف، وغيرهما مما ليس من مسائل ظاهر الرواية، وهذه الطبقة الثانية، ثم تأتي الطبقة الثالثة عند الأحناف وهي: المعروفة بالواقعات والفتاوى.

* **الدور الثاني:** دور التوسع والنمو والانتشار. لمّا كثرت المسائل عن أبي حنيفة -رحمه الله-، وعن أبي يوسف -رحمه الله-، وعن محمد بن الحسن -رحمه الله-، وجمعت سواء ما اتفقوا عليه أو ما اختلفوا فيه انتشر المذهب وانتشرت هذه الأقوال وتوسعت. وفي هذا العصر اهتم أصحابه بالتأليف وجاءت التآليف على ثلاثة أنواع، على ثلاثة طرق: -

- **الأول:** المختصرات.

وهذه المختصرات تعتمد ما يراه أصحابها الراجح في المذهب من أقوال أئمة المذهب وهم: أبو حنيفة -رحمه الله-، ومحمد بن الحسن، وأبو يوسف، ويضاف لهم زفر. ومن أهمها: **"مختصر الطحاوي"**، **"الكافي"** للحاكم الشهيد. و **"الكافي"** ميزته أنه أختصر الكتب الستة التي هي ظاهر الرواية، **"تحفة الفقهاء"** للسمرقندي، **"مختصر القدوري"** وهو الذي إذا أطلق لفظ الكتاب عند الأحناف يريدونه، يعني إذا قيل: وفي الكتاب. يعني في **"مختصر القدوري"** وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله، ومنها أيضًا **"بداية المبتدي"** للميرغيناني، ومنها **"المختار"** لأبي الفضل عبد الله الموصلي، ومنها **"كنز الدقائق"** للنسفي، ومنها **"وقاية الرواية"** لصدر الشهيد. هذه الكتب مختصرات وهي التي تُعرف بـ **"المتون"**. وقد أهتم الأحناف بهذه المختصرات اهتمامًا كبيرًا.

- **النوع الثاني:** الشروح.

والمقصود بها شروح هذه المختصرات التي ذكرناها، فهناك مثلًا كتاب **"المبسوط"**، و **"المبسوط"** للسَرْخسِي، أو السَرَخسِي يضبط هكذا أو يضبط هكذا، شرح فيه **"مختصر الطحاوي"**، وهناك **"بدائع الصنائع"** للكاساني وقد شرح فيه **"تحفة الفقهاء"** للسمرقندي، وهناك **"الهداية"** للمرغيناني وقد شرح كتاب **"بداية المبتدي"**، وهناك **"الاختيار لتعليل المختار"** وقد شرح فيه كتابه **"المختار"** يعني شرح فيه الموصلي كتابه **"المختار"**. هذه من أهم الشروح في هذا الوقت لهذه المختصرات.

- **النوع الثالث:** الفتاوى والواقعات.

وهذه الكتب كُتب فيها فتاوى العلماء في المسائل النازلة التي لا يُعرف فيها نص لأئمة المذهب، ومن أهم هذه الكتب التي يعتمد عليها الحنفية كثيرًا **"فتاوى شمس الأئمة الحلواني"**، **"الفتاوى الكبرى"** للصدر الشهيد، **"الفتاوى النسفية"**، و **"فتاوى قاضي خان"**.

هذه الكتب يا إخوة هي المعتمدة عند الأحناف في المذهب فأقواها المختصرات، ثم الشروح، ثم الواقعات.

*** الدور الثالث:** دور الاستقرار. وهذا كما قلنا: يبدأ من مطلع الثامن الهجري، وقد استقر المذهب وأصبحت الكتب تدور حول الكتب المتقدمة، ومن أشهر الكتب في هذا الطور **"حاشية ابن عابدين"** المسماة **"برد المحتار على الدر المختار"**، وقد اعتني ابن عابدين عناية يعني كبيرة.

وابن عابدين يُسمى عند الحنفية بـ **"خاتمة المحققين"** وهو متميز بسعة اطلاعه على المذهب وحسن تحقيقه في المذهب، بل مما رأيته في هذا الكتاب أن ابن عابدين قد يقرر رأي الأحناف من كلام غيرهم من العلماء الذين ينقلون كلام الأحناف. إذا لم يكن للأحناف نصٌ في كتبهم في المسألة، فأحيانًا في بعض المسائل وجدته ينقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في تقريره لمذهب الحنفية ويقول: وكفى بهذا الإمام ثقة ليكون لهذا الكلام أصل. وهذا يدل على سعة اطلاعه في المذهب وتبحره.

هذا يقودنا إلى نقطة وهي أهم المؤلفات في المذهب، لأن معرفة المؤلفات يا إخوة تجعل الإنسان يعرف من أين يأخذ العلم فإذا أردت أن تأخذ الرأي المنسوب إلى الحنفية فينبغي أن تعرف كتبهم ومنزلة هذه الكتب حتى تعرف كيف ترجع.

يعني الآن من الإشكاليات حتى عند الباحثين المتخصصين في الفقه، قد يكتب الباحث في الدكتوراه يذهب إلى المكتبة وهو لا يعرف ماذا يقرأ ولا من أين يبتدئ، فيذهب إلى المكتبة إلى رف الفقه الحنفي مثلًا: خذ هذا الكتاب واقرأ الكتاب وجدت كلامًا كتبه، خذ هذا الكتاب. من غير معرفة لمنزلة هذه الكتب، وما الذي يُقدم وما الذي يؤخر؟

ولذلك من الأمور المهمة في العلم أن يحرص طالب العلم على معرفة السلاسل العلمية للكتب، فإذا أردت في أي علم من العلوم فينبغي أن تحرص

على معرفة السلاسل العلمية لكتب هذا العلم، حتى تعرف ما الذي يُقدم وما الذي يغني عن غيره؟

كما قلنا، وأظن أنكم الآن فهمتم أن أهم المؤلفات في الفقه الحنفي هي كتب محمد بن الحسن المسماة بـ **"ظاهر الرواية"**، فهذه الكتب هي التي عليها العمدة في المذهب. وقد ذكرنا أنها **"المبسوط"** لمحمد بن الحسن. لأن هناك **"المبسوط"** لمحمد بن الحسن وهناك **"المبسوط"** للسرخسي. ومعرفة هذا يعني مهمة لأن بعض طلاب العلم قد لا يعرف إلا اسم كتاب فإذا جاء كلام يُراجع الكتاب فيقول: لم أجده فيه. وقد ينسب إلى صاحب الكتاب بالواسطة.

أنا أذكر مثالًا ليس في هذا ولكن يعني في تعريف العرف نجد أن بعض الباحثين عندما جاء إلى تعريف العرف قال: وقال الغزالي: العرف ما استقر في العقول. وكمل التعريف. لماذا؟ لأنه وجد أهل العلم قالوا: وقال في **"المستصفى"**: العرف كذا. هو إنما يعرف **"مستصفى الغزالي"** فرجع إلى مستصفى الغزالي لم يجد فيه الكلام. فقال في الحاشية: لم أجده في **"المستصفى"** نقلًا بواسطة كذا. والحقيقة أن **"المستصفى"** الذي ذكره ذلك العالم الذي نقل التعريف هو **"المستصفى"** في الفقه للنسفي. ولكن هذا الباحث لا يعرف هذا، فظن أن المقصود الغزالي.

"المبسوط" هناك مبسوطان: مبسوط هو يسمى بالأصل وهو كتاب محمد بن الحسن، وكذلك **"الزيادات"**، **"الجامع الصغير"**، **"الجامع الكبير"**، **"سير**

الصغير"، "**سير الكبير**". هذه كما قلنا: جمعها الحاكم الشهيد في كتاب "**الكافي**". وهناك "**مختصر الطحاوي**" كما قلنا، وهناك "**شرح لمختصر الطحاوي**" للجصاص، وهناك "**مختصر القدوري**" الذي قلنا: إن الحنفية قد اهتموا به اهتمامًا كبيرًا.

وقد وضعت عليه كتب كثيرة معتمدة منها كتاب "**تحفة الفقهاء**" للسمرقندي فإنه مستند إلى مختصر القدوري، وقد بناه على المختصر وأوضح مشكلاته وزاد عليه وشُرح هذا في كتاب "**بدائع الصنائع**"، و "**بدائع الصنائع**" الحقيقة كتاب معتمد وكتاب لطيف في تقرير مسائل الحنفية.

هناك أيضًا متن "**بداية المهتدي**" للمرغيناني وقد شرح هذا المتن يعني عدد من علماء الحنفية بكتب يُعول عليها الحنفية كثيرًا منها: "**الهداية شرح البداية**"، ومنها "**العناية على الهداية**" للبابرتي، ومنها "**البناية شرح الهداية**" للعنتابي ويعرف بالعيني. ومن أحسنها وأوضحها "**فتح القدير**" للكمال بن الهمام فهو واضح جدًا في شرحه مع تكملته "**نتائج الأفكار**" وهذا الشرح، أعني "**شرح فتح القدير**" هو من أحسن شروح "**الهداية**".

كذلك هناك "**مجمع البحرين**" مع شرحه للساعاتي، وهناك أيضًا "**خلاصة الدلائل**" لحسام الدين الرازي، وهناك "**الترجيح والتصحيح على القدوري**" لابن قاسم بن قتلو بغا المصري الحنفي المحدث، وهناك متن "**المختار**"

للموصلي كما قلنا، وهناك **"كنز الدقائق"** للنسفي، ومن شروحه **"تبيين الحقائق"** للزيلغي.

وهناك مؤلفات أخرى في المذهب من ألطفها وأوضحها **"البحر الرائق شرح كنز الدقائق"** لزين الدين بن نجيم، مع تكلمته الطوري القادري أو الطواري القادري وهو تلميذ لابن نجيم.

* هناك مصطلحات تُستعمل في كتب الحنفية منها: -

مثلًا مصطلح **(الإمام)**، **(وقال الإمام)**، **(وعن الإمام)**، **(وعند الإمام)**. والمراد به أبو حنيفة -رحمه الله-

كذلك مثله مصطلح **(الإمام الأعظم)** فإنهم يريدون به أبا حنيفة -رحمه الله-.

هناك مصطلح **(الإمام الثاني)**. فتجد بعضهم يقول: **(وعند الإمام الثاني)**، أو **(الثاني)**. فيقولون: **(وعن الثاني)** فإذا وجدت في كتب الأحناف أنهم يقولون: **(وعند الإمام الثاني)** أو **(عن الإمام الثاني)**. فهو أبو يوسف -رحمه الله-. يطلقون عليه: **(الإمام الثاني)** أو **(الثاني)**.

(الثالث) أو **(الإمام الثالث)** فهو محمد بن الحسن. فإذا وجدت أنهم يقولون: **(وعن الثالث)**، أو **(، عند الثالث)**. فهو محمد بن الحسن -رحمه الله-.

محمد بن الحسن أيضًا يقال له: **(الإمام الرباني)**. فإذا قال: **(وقال الإمام الرباني)**. فهو محمد بن الحسن.

(الأئمة الثلاثة). واضح، أبو حنيفة، وأبو يوسف، محمد بن الحسن. إذا أطلق الأئمة الثلاثة هكذا بالإطلاق فالأصل أنهم يريدون به أئمتهم، وليس المراد الأئمة الثلاثة غير أبي حنيفة -رحمه الله-، وإنما المراد الثلاثة: أبو حنيفة، أبو يوسف، محمد بن الحسن.

إذا قيل: **(الشيخان)**، **(وعند الشيخين خلافًا له)**. قد تجد هكذا **(وعند الشيخين كذا خلافًا له)**. الشيخان هنا المقصود بهما: أبو حنيفة وأبو يوسف. **(خلافًا له)** يعني لمحمد بن الحسن. فلقب الشيخين يطلق على الإمام أبي حنيفة وأبي يوسف.

وإذا وجدت أنهم يقولون مثلًا: **(وعنده كذا وعند الصاحبين كذا)**. فالمقصود بـ **(الصاحبين)** أبو يوسف ومحمد بن الحسن.

وكذلك يطلق على أبي يوسف ومحمد بن الحسن **(الآخرين)** فإذا قيل: **(وعند الآخرين)** يعني عند أبي يوسف ومحمد بن الحسن.

طيب، **(الطرفان)**، **(وقال الطرفان خلافًا له)**، **(وقال الطرفان كذا خلافًا له)**. **(الطرفان)** أبو حنيفة ومحمد بن الحسن -رحمه الله- وأبو يوسف هو الوسط، فـ **(الطرفان)** إذا قال: **(وقال الطرفان)**. يعني قال: أبو حنيفة -رحمه الله- ومحمد بن الحسن فاتفقا على قول.

إذا قال: **(وعند أصحابنا)**. المراد بهم الأئمة الثلاثة، وقد يراد بهم فقهاء المذهب مطلقًا.

(شمس الأئمة) يراد به الإمام السرْخسي أو السرَخسي عند الإطلاق. أما إذا أرادوا غيره فإنهم يقيدون، يقولون مثلًا: **(شمس الأئمة الحلواني)**، أما عند الإطلاق **(وقال شمس الأئمة)** فالمقصود به السرْخسي أو السرَخسي.

(شيخ الإسلام) إذا قالوا: **(شيخ الإسلام)**. في كتبهم فقد ذكر ابن عابدين: أنه يراد به عند الإطلاق خواهر زاده. وذكر أبو محمد القرشي أنه: علي بن محمد الأسبيحاني عند الإطلاق. يعني ابن عابدين يعني حمله على شخص، والقرشي حمله على شخص.

إذا قيل: **(فخر الإسلام)** يراد به من يسمونه أبو العسر البزدوي، البزدويان اثنان: -

- واحد ملقب بأبي اليسر.
- والآخر ملقب بأبي العسر.

وأبو العسر لقب بهذا لعسر تآليفه، فإن تآليفه عسرًا واختصارًا شديدًا فلقب بهذا. فإذا قيل: **(فخر الإسلام)** فهو المراد.

(صدر الشريعة). معروف وهو عبيد الله المحبوبي، ويقال: **(إنه صدر الشريعة الثانية)**.

أما **(صدر الشريعة الأول)** فهو أحمد بن عبيد الله المحبوبي ويسمى **(صدر الشريعة الأكبر)**.

طيب، إذا وجدنا إطلاق **(صدر الشريعة)** في كتب الحنفية إذا قالوا: **(وعند صدر الشريعة)** فالمقصود به عبيد الله بن مسعود المحبوبي وهو المشهور.

طيب، إذا وجدنا في كتب الأحناف مصطلح **(السلف)** وقال: **(السلف كذا)**، **(وعند السلف كذا)** فإنه يطلق هذا المصطلح على فقهاء المذهب الحنفي من أبي حنيفة -رحمه الله- إلى محمد بن الحسن. هذا **(السلف)**.

وإذا قيل: **(الخلف)**. فإنه يطلق على فقهاء المذهب الحنفي من بعد الإمام محمد بن الحسن إلى شمس الأئمة الحلواني.

وإذا قيل: **(المتأخرون)** فهم من بعد ذلك.

يعني أولًا في التقسيم يقولون: **(السلف، والخلف، والمتأخرون)**.

(السلف) هم أبو حنيفة -رحمه الله-، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن، وزفر.

(الخلف) من بعد محمد بن الحسن -رحمه الله- إلى شمس الأئمة الحلواني المتوفى سنة أربعمائة وخمسين من الهجرة.

(المتأخرون) مَن بعد شمس الأئمة الحلواني.

هناك أيضًا اصطلاح في التقسيم آخر وهو تقسيم إلى **(المتقدمين والمتأخرين)** فيقال: **(وذهب المتقدمون إلى كذا وعند المتأخرين كذا)**. فيكون المراد بـ **(المتقدمين)** هم علماء الحنفية الذين أدركوا الأئمة الثلاثة، الذين أدركوا

أبا حنيفة، أو أبا يوسف، أو محمد بن الحسن. و **(المتأخرون)** هم علماء الحنفية الذين لم يدركوا الأئمة الثلاثة.

إذًا ننتبه يا إخوان! ! **(المتأخرون)** إذ ذكروا مع **(السلف والخلف)** فالمراد بهم من كانوا بعد شمس الأئمة الحلواني، و **(المتأخرون)** إذا ذكروا مع **(المتقدمين)** فالمراد بهم الذين لم يدركوا الأئمة الثلاثة عند الحنفية.

(المشايخ) هذا اللفظ عند الحنفية يطلق ويراد به: العلماء الذين لم يدركوا الإمام أبا حنيفة.

و **(العامة)** إذا قالوا: **(وعند العامة)** المراد بهم: أكثر أهل المذهب.

طيب، من المصطلحات التي تتعلق بالكتب: -

مصطلح **(الأصل)**، **(وفي الأصل)**. **"الأصل"** هذا كتاب ويريدون كما تقدم مرارًا **"المبسوط"** للإمام محمد بن الحسن.

"الأصول" هي كتب ظاهر الرواية التي أشرنا إليها سابقًا.

(المتون الثلاثة)، **(وفي المتون الثلاثة)** هي: **"مختصر القدوري"**، و **"وقاية الرواية"** للمحبوبي، و **"كنز الدقائق"** للنسفي. هذه تسمى بـ **"المتون الثلاثة"**. **(المتون الثلاثة)**: **"مختصر القدوري"**، و **"وقاية الرواية"** للمحبوبي، و **"كنز الدقائق"** للنسفي.

(المتون الأربعة) هي: **"مختصر القدوي"**، **"وقاية الرواية"**، **"كنز الدقائق"**، **"المختار"** للموصلي هذا اختيار بعضهم أو يكون الرابع **"مجمع البحرين"** لابن الساعاتي. إذا قالوا: **(في المتون الأربعة)** فإن هذه هي المقصودة.

(المبسوط) إذا أطلق هكذا فالمراد به **"مبسوط"** السرخسي.

(المحيط) يراد به كتاب **"المحيط البرهاني"** لبرهان الدين البخاري.

هناك مصطلحات عند الحنفية يشار بها إلى الترجيحات والآراء في المذهب. مثلًا فيما يذكرون عن أبي حنيفة -رحمه الله-: -

هناك فرق بين أن يقولوا: **(وعنده)**. وبين أن يقولوا: **(وعنه)**. يعني هناك فرق أن يقولوا: **(وعند أبي حنيفة أو وعند الإمام)**. وبين أن يقولوا: **(وعن أبي حنيفة أو وعن الإمام)**.

إذا قالوا: **(وعند)** يعني أن مذهبه كذا. وإذا قالوا: **(وعنه)** يعني أن الرواية عنه كذا.

والمذهب أوسع من الرواية فقولهم: **(وعند)**. يدل أنه المذهب عنده، وقولهم: **(عنه)**. يدل على الرواية عن الإمام.

إذا قالوا: **(عليه عمل الأمة)** فهذا إشارة لإجماع المتأخرين من علماء الحنفية.

طيب، إذا قالوا: **(عليه الفتوى)** تجد كثيرًا في كلام ابن نجيم يقول: **(وذهب محمد بن الحسن إلى كذا، وعليه الفتوى)**. فالمراد به الإشارة إلى أصحية هذا القول والإفتاء به.

طيب، إذا قيل: **(وبه يُفتَى)**. هل فيه فرق بين قولهم: **(وعليه الفتوى)**. وبين قولهم: **(وبه يُفتَى)**. كلاهما يشتركان في شيء يا إخوة وهو: الإذن بالإفتاء به، ولكن قولهم: **(وبه يُفتى)** آكد من قولهم: **(عليه الفتوى)**، لأن قولهم: **(وبه يُفتى)** يراد به الحصر. يعني أنه الآن إنما يُفتى به.

إذًا إذا وجدنا **(وعليه الفتوى)** هذا يدل على الاختيار وأن هذا القول يعني يُفتى به، لكن إذا وجدنا **(وبه يُفتَى عند الحنفية)** فهذا معناه أن الإفتاء انحصر فيه وأصبح إنما يُفتى بهذا القول فقط في ذلك الزمان.

إذا قيل: **(الأصح والصحيح)**. فهو إشارة إلى رجحان القول في المذهب. لكن إذا قيل: **(الأصح)**. فهذا يدل على أن الذي يقابله صحيح.

(المعتمد). إذا قالوا: **(والمعتمد كذا)**. يعني أنه القول المقدم من الأقوال لاعتبار معين: -

- إما لقوة دليله.
- أو لكونه الأحوط.

إذا ذكروا خلافًا في المذهب ثم قالوا: **(والمعتمد كذا)**. يعني أن المقدم من هذه الأقوال هو كذا إما لقوة دليلة، وإما لأنه أحوط.

إذًا كلمة **(المعتمد)** تعني التقوية. يعني أن هذا القول أقوى بوجهين: -

- إما قوة الدليل.
- أو الاحتياط.

أيضًا مصطلح **(الأوجه والأظهر)** وهما بمعنًى واحد عند الحنفية ويطلقان على القول الذي ظهر رجحانه للمفتي.

(الأشبه) يطلق على ما كان راجحًا وأقرب في المعنى للمروي عن الإمام. يعني إذا كان للمتأخرين أقوال يقولون: **(والأشبه منها كذا)**. يعني أقرب الأقوال إلى ما روي عن الإمام هو هذا القول.

قولهم: **(جرى به العرف)**. يعني أنه يُعمل به في عرف ذلك الزمان.

طيب، إذا كان ذلك كذلك. كيف ترتيب ألفاظ الترجيح عند الحنفية؟

أقواها قولهم: **(عليه عمل الأمة)** أو **(عمل الأئمة)**، ثم **(به يُفتى)**، ثم **(عليه الفتوى)**، ثم **(الأصح)**، ثم **(الصحيح)**.

يعني أقوى الترجيح إذا قيل: **(عليه عمل الأمة)** أو **(عمل الأئمة)**، ثم دونه درجة **(به يُفتَى)**، ثم دونه درجة **(عليه الفتوى)**، ثم دونه درجة **(الأصح)**، ثم دونه درجة **(الصحيح)**. وهذه طرق يعني ألفاظ الترجيح عند الحنفية. هذا باختصار ما يتعلق بمفاتيح المذهب الحنفي.

❋ ننتقل إلى المذهب المالكي.

وإمام المذهب هو: أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري المدني.

قيل: ولد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة، وقيل: سنة أربع وتسعين، وقيل: سنة سبع وتسعين من الهجرة.

الإمام مالك -رحمه الله- إمام في السنة، إمام في الحديث، إمام في الفقه. أجمع العلماء على جلالته وعلى إمامته وعلى أن قوله معتبرٌ في الخلاف، ورث العلم والفقه بمدينة رسول الله ﷺ فلم يكن في المدينة عالمٌ بعد التابعين يشبه مالكًا -رحمه الله- في العلم والفقه والجلالة.

الإمام مالك اتفقت كلمة العلماء على الثناء عليه. حمّاد بن زيد -رحمه الله- لمّا جاءه نعي مالك بن أنس سالت دموعه وقال: يرحم الله أبا عبد الله فقد كان من الدين بمكان.

الشافعي -رحمه الله- وهو تلميذ لمالك -رحمه الله- يقول: إذا ذُكر العلماء فمالك النجم. قال الشافعي: وما أحد أمنّ عليّ من مالك بن أنس. وقال أيضًا: مالك بن أنس معلمي وعنه أخذت العلم.

وقال عبد الرحمن بن مهدي: أئمة الناس في زمانهم أربعة: سفيان الثوري بالكوفة، ومالك بالحجاز، والأوزاعي بالشام، وحماد بن زيد بالبصرة.

وقال ابن مهدي: ما رأيت أعقل من مالك بن أنس رضي الله عنه وأرضاه.

وقيل للإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-: يا أبا عبد الله رجلٌ يريد أن يحفظ رجلٍ واحدٍ بعينه بحديث من ترى له؟ -يعني شخص يريد أن يحفظ حديث رجل واحد، يعني عن طريقه فمن ترشح له؟ من ترى له؟ - فقال: الإمام أحمد -رحمه الله-: يحفظ حديث مالك.

قال الذهبي: هو شيخ الإسلام حجة الأمة إمام دار الهجرة. وقال الذهبي أيضًا: وطلب مالك العلم وهو ابن بضعة عشر سنة، وتأهل للفتيا، وجلس للإفادة وله إحدى وعشرون سنة.

طبعًا ما جلس للإفادة حتى شهد له سبعون عالمًا أنه أهل للفتيا. يقول الإمام مالك: أدركت مشايخي يقولون: لا ينبغي للرجل أن يجلس للفتيا حتى يشهد له أربعون وما جلست إلا بعد أن شهد لي سبعون. ففي هذا السن وعمره إحدى وعشرون سنة شهد له سبعون عالم من علماء الأمة أنه أهل للإفتاء والتدريس.

قال الذهبي: وحدّث عنه جماعة وهو حي شاب طريٌ وقصده طلبة العلم من الأفاق في آخر دولة أبي جعفر المنصور وما بعد ذلك وازدحموا عليه في خلافة الرشيد وإلى أن مات.

هنا أنبه تنبيهًا!! وهو أن المقصود بالأكابر في الإسلام: هم الأكابر بعلمهم الذين لا يُعرفون بمخالفة علماء السنة وعلماء الإسلام. ليس المقصود بالأكابر

يا إخوة: الأكابر في السن فقط. قد يكون الإنسان كبيرًا في السن لكنه قليل العلم.

المقصود بالأكابر: الذين يُؤخذ عنهم العلم، هم العلماء الكبار في علمهم، الذين لا يُعرفون بمخالفة علماء الأمة الأثبات.

والأصاغر: الذين لا يؤخذ عنهم العلم والذين يكون أخذ العلم عنهم من أمارات آخر الزمان هم الصغار بعلمهم والذين يُعرفون بمخالفة علماء الأمة الأثبات الذين شُهد لهم بالجلالة والعلم والمكانة.

أقول هذا لأن بعض الناس فهم ما ورد في النصوص وما قرره أهل العلم بأنه لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وأن أخذ العلم عن الأصاغر إنما هو من علامات وأمارات آخر الزمان، فهموا من هذا أنه لا يؤخذ عن شاب.

وقد يؤتي لرجل عُرف بالعلم فيُقال: هذا شاب من الأصاغر كيف تأخذون عنه، ويصد عن كثير من الخير بهذا. فينبغي التنبه! ! هذا الإمام مالك -رحمه الله- وهو ابن إحدى وعشرين سنة أُخذ عنه العلم وروي عنه الحديث وهو شاب طري وهو من الأكابر ولا شك. فهذا ينبغي أن يدرك يا إخوة، هناك أشياء يقررها أهل العلم يفهمها بعض الناس خطئًا فيصدون عن الخير. بعض البلدان لا يوجد فيها إلا طلاب علم عندهم خير ولكن إما أنهم صغار

في السن أو أنهم يعني لم يُشهد لهم بأعيانهم أو يُزكوا بأعيناهم فيُقال: لا تأخذوا عنه. من زكاة. والتزكية التي يعنيها أهل العلم نوعان: -

- تزكية أعيان.
- وتزكية العلم.

تزكية أعيان: بأن يُزكى الإنسان بعينه فيشهد له أهل العلم أنه أهل. فيقال: فلان يؤخذ عنه العلم، ادرسوا على فلان، خذ عن فلان، فيُزكى من أهل التزكية، وهذا لا شك أنه درجة عالية في التزكية.

والثاني: تزكية العلم. قد لا يكون الشخص مزكى بعينه، ولكن علمه يزكيه فعلمه علم كتاب وسنة ولا يخالف العلماء بل يقرر ما يقرره علماء السنة، علماء الأمة الأثبات، فهذا يزكيه علمه بحيث أن هذا الشخص لو عُرض على العلماء وعرفوه بعلمه لزكوه بعينه.

فهذا ينبغي أن يُفهم يا إخوة لأنه يبلغني أنه قد يوجد في بعض المدن طالب علم يُعرف بالسنة كلامه متين لا يخالف العلماء فيأتي بعض الناس يقولون: لا تدرسوا عليه. لماذا؟ هذا لم يزكه أحد من أهل العلم.

إذًا أنا أقول: إن التزكية إما تزكية عين، وإما تزكية بالعلم بحيث لو أنه قد عُرض على العلماء لزكوه، وإنما يُحذر تمام الحذر ممن لم يُعرف علمه، أو كان يُعرف بمخالفة العلماء مع كلامه في العلم. فهذا يُنتبه له.

الشاهد من هذا: أن المقصود بالأكابر هم الأكابر في علمهم والذين لم يُعرفوا بمخالفة العلماء فيما يقررونه من العلم.

كان الإمام مالك -رحمه الله- صاحب سنة، كان إمامًا في السنة، والمقصود السنة: العقيدة. فإنها كانت تسمى عند المتقدمين بالسنة، يقول مالك بن أنس -رحمه الله-: ليس الجدال في الدين بشيء. ويقول: أهل الأهواء بئس القوم لا يُسلم عليه واعتزالهم أحب إليّ.

وكان -رحمه الله- يقول: الإيمان قول وعمل. ويقول: القرآن كلام الله. ويقول: من قال: القرآن مخلوق يوجع ضربًا ويُحبس حتى يتوب. وكان مالك -رحمه الله- يقول: الله في السماء.

وهذه يا إخوة يعني المقولات للإمام مالك هي مقولة السلف الصالح رضوان الله عليهم، وعليها صدر الأمة، أجمع عليها صدر الأمة، ولذلك لا يُلتفت لهؤلاء المتأخرين اليوم الذين يحولون التنفير من هذه العقيدة السلفية الصحيحة التي أخذت من الكتاب والسنة وأجمع عليها الصحابة وأجمع عليها التابعون، بل يُتمسك بهذه العقيدة ويُذب عنها والدفع عنها جهاد.

وأنا أقول: يا طلاب العلم إن المخالفين لعقيدة السلف يقومون بحملات اليوم لتشويه هذه العقيدة والكذب عليها وعلى أصحابها، فينبغي على طلاب العلم أن يتنبهوا لهذا وأن يبذلوا ما يستطيعون في الذب عن هذه العقيدة والرد

على أولئك المرجفين الذين يستخدمون الوسائل الجديدة والوسائط الجديدة للطعن في عقيدة السلف. فهذه هي عقيدة علماء الأمة المتقدمين.

من عبارات الإمام مالك العظيمة أنه قال: لا ينبغي الإقامة في أرض يكون العمل فيها بغير الحق والسبُّ للسلف. يعني ويكون فيها السبب للسلف، فالأرض التي يُسب فيها السلف لا ينبغي الإقامة فيها وهذا تعظيم لمقام السلف عند الإمام مالك -رحمه الله-.

قال جعفر بن عبد الله قال: كنا عند مالك فجاءه رجلٌ فقال: يا أبا عبد الله الرحمن على العرش استوى كيف استوى؟ فما وجد مالكٌ من شيء ما وجد من مسألته فنظر إلى الأرض وجعل ينكت بعود في يده حتى علاه الرحضاء – يعني العرق- ثم رفع رأسه ورمى بالعود وقال: الكيف منه غير معقول والاستواء منه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وأظنك صاحب بدعة. وأمر به فأُخرج.

كان -رحمه الله- شديد التقى، شديد الورع لا سيما عند الإفتاء.

من عبارات الإمام مالك التي لا ينبغي أن تغيب عن طلاب العلم قوله: جنة العالم لا أدري إذا أغفلها أصيبت مقاتله. جنة العالم. درع العالم الذي يقيه لا أدري إذا أغفلها أصيبت مقاتله. وهذه الجنة ينبغي أن يتسلح بها طالب العلم فإذا سُئل عن شيء لا يدري عنه قال: لا أدري.

الآن من الآفات أن طلاب العلم أصبح عند كثير منهم جرأة على القول بغير علم، قد يُسأل عن مسألة، قد يأتي الحجاج وقد يأتي العمار وهو شيخ في المدينة. طالب علم في المسجد النبوي فيأتي المعتمر فيقول: يا شيخ. يستحي كيف وهو شيخ وغائب عن البلد عشر سنين ويأتيه أهله الآن يقولون له كذا يقول: لا أدي. يفتي من طرف..، فيكون مخطئًا ولو أصاب.

بل حتى الجرأة في المسائل العظام فقد يُسأل عن شخص ما رأيك في فلان؟ أو هل تعرف فلانًا؟ وهو ما يعرف عنه شيئًا، فقد يقول مثلًا: يعني أظن أن العلماء تكلموا فيه. هو ما سمع شيئًا، لكن هذا القريب أظن أن العلماء تكلموا فيه. وربما يتعاظم وينتفخ حتى يقول: هو مجهول عندي أو يقول: أنا لي عشر سنين في المدينة لم يزرني. ويعد هذا جرحًا فيه، وهذا غلط عظيم.

ينبغي على طالب العلم أن لا يتكلم إلا بعلم، وهي تكون الجنة عنده لا أدري، أيًا كان، ما دام أنه لا يعلم العلم الذي يبرأ به أمام الله فإنه يقول: لا أدري. فإما أن يطلب المهلة يقول: أمهلني يومًا أراجع أو نحو ذلك.

يا إخوة الشيخ ابن باز -رحمه الله- رأيناه مرارًا يسأله سائل عن مسألة فيقول: راجعني الأسبوع القادم. وهو إمام الدنيا في زمنه -رحمه الله-، لكنه يراجع المسألة. فينبغي على طلاب العلم أن ينتبهوا لهذه القضية وهو أن جنة طالب العلم أن يتمسك بلا أدري ما دام أنه لا يدري ولا يقول إلا بعلم.

قال عبد الرحمن بن مهدي: سأل رجلٌ مالكًا عن مسألة وذكر أنهم أرسلوه يسأله عنها من مسيرة ستة أشهر فقال الإمام مالك: فأخبر الذي أرسلك أني لا علم لي بها. قال: ومن يعلمها؟ قال: الذي علّمه الله.

جاءه سائل يسأله قال: أنا أُرسلت لك من ستة أشهر قال: فأخبر الذي أرسلك أني لا أعلمها لا علم لي بها، قال: فمن يعلمها؟ قال: الذي علّمه الله. ما قال: ما دمت أنا ما أعرفها ما أظن أن أحدًا يعرفها. قال: الذي علّمه الله.

قال مالك بن أنس سمعت عبد الله بن يزيد بن هرمز يقول: ينبغي للعالم أن يورث جلسائه قول: لا أدري. حتى يكون ذلك أصلًا في أيديهم يفزعون إليه، فإذا سُئل أحدهم عما لا يدري قال: لا أدري.

قال ابن وهب: لو شئت أن أملأ ألواحي من قول مالك: لا أدري. لفعلت.

كان مالك بن أنس يقول ما يقوله العلماء: إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم.

وقال كلمة عجيبة، قال -رحمه الله-: ما تعلمت العلم إلى لنفسي وما تعلمت ليحتاج الناس لي. يقول: أنا ما تعلمت إلا لنفسي لأنتفع وما تعلمت ليحتاج الناس لي. وهذا الإخلاص لله في طلب العلم. توفي -رحمه الله- سنة تسعٍ وسبعين ومائة.

الإمام مالك -رحمه الله- وهو المحدث الفقيه كان له تلاميذ كُثر منهم: -

عبد الله بن وهب المصري، وعبد الرحمن بن القاسم، وأشهب بن عبد العزيز. وغيرهم ممن سنذكرهم إن شاء الله عندما نتكلم عن أطوار المذهب المالكي، ثم مؤلفات المذهب المالكي، ثم مؤلفات المذهب المالكي، ثم مختصرات المذهب المالكي في الدرس القادم إن شاء الله ﷻ.

في الدرس القادم سنختم المدخل إلى الفقه بالكلام عن بقية المذاهب والكلام عن مذهب الظاهرية وهل يُعتد عند أهل السنة والجماعة بآراء الظاهرية في الفقه. فإذا أضفتم إلى هذا ما تأخذونه في درس فقه السنة تكونوا قد جمعتم ما يتعلق بالمدخل إلى الفقه، ثم سنختم بما أشرت إليه وهو كيف تخطط لتكون فقيهًا؟ وسنذكر الخطوات إن شاء الله بالمثال حتى يُخطط طالب العلم لنفسه ليتقن الفقه.

أعود وأذكر الإخوة بما بدأت به وهو أن طلاب الجامعة الذين يحضرون الدروس وفاتهم التسجيل سنفتح لهم التسجيل إن شاء الله فبإمكانهم الرجوع إلى مراجعة مقر الكرسي في كلية الشريعة لتسجيل أسماءهم. أرجو من الإخوة أن يسجلوا أسألتهم لأنه إن شاء الله بعد أن نفرغ من المدخل سآخذ الأسئلة وأجيب عنها ولو أخذت درسًا، فيما يتعلق بالمدخل لأنه قد تكون هناك ثغرات أو إشكالات في أذهان بعض الإخوة تحتاج إلى البيان نتمها بالجواب عن الأسئلة. والله أعلم وصلى الله على نبينا وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ به من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللّهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين صلاة وسلامًا إلى يوم الدين، أما بعد: -

فهذا هو اللقاء الثاني المتعلق ببيان أهمية فقه سنة رسول الله ﷺ وضوابط ذلك، وقد قدمت في اللقاء الأول أمورًا منها: -

بيان الأدلة التي يُكلف بها العباد. وهي الأدلة الشرعية وعلى رأسها كتاب الله ﷻ، وسنة النبي ﷺ، ثم ما يأتي بعد ذلك من الإجماع والقياس الصحيح، وبينت أمورًا متعلقة بضوابط فهم سنة رسول الله ﷺ وأهمية الفقه فيها.

ولا شك أيها الإخوة أن الفقه في سنة النبي ﷺ من أعظم المطالب التي ينبغي لطالب العلم وللمرء المسلم أن يعتني به، ذلك أنه لا يستطيع أن يعبد الله ﷻ على بصيرة وعلى علم إلا إذا فقه في ذلك، على ما جاء في حديث معاوية رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «من يرد الله به خيرًا يفقه في الدين» وهو حديث متفق عليه. ولمّا رغب النبي ﷺ أن يُعلي الله سبحانه وتعالى مكانة ابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهم دعا له النبي ﷺ بقوله: «اللهم فقهه في الدين

وعلمه التأويل» كما ثبت عند البخاري من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما.

وهذا كله يدل على أن الفقه في دين الله سبحانه وتعالى أمر مرغب فيه في سنة النبي ﷺ ولا يتحقق الإخلاص لله ﷻ ولا تتحقق متابعة النبي ﷺ إلا بالفقه في دين الله تبارك وتعالى ونحن نعلم أن من شروط العمل المقبول عند الله سبحانه وتعالى مع وجود الإيمان به سبحانه وتعالى أن يعمل الإنسان عمله خالصًا مبتغيًا به وجه الله ﷻ وأن يكون هذا العمل على وفق سنة رسول الله ﷺ؛ وهذا يكون له أثره البالغ في إيراث الخشية في القلب وطاعة الرب سبحانه وتعالى؛ ويظهر أثر هذا العلم على الجوارح؛ لذلك كان بعض أهل الحديث - رحمهم الله تعالى- ربما أثنوا على الشخص وقدموه على غيره بنظرهم إلى صلاته في يوم ما واحد منهم على أحد هؤلاء الطلاب فقيل له في ذلك فقال: أما رأيت إلى حسن صلاته. وما الذي أورثه حسن الصلاة؟

أورثه حسن الصلاة التفقه في كتاب الله ﷻ وفي سنة رسوله ﷺ، وقد نبّه أهل الحديث من وقت قديم على أهمية النظر في فقه أحاديث رسول الله ﷺ وعلى أهمية فهمها على مراده ﷺ وعلى ضوء فهم أصحابه رضوان الله تعالى عليهم جميعًا؛ ولذلك نجد أنهم يعقدون نوعًا خاصًا في كتب مصطلح الحديث يسمونه بفقه الحديث أو نحو هذا العنوان وأول من عقده الحاكم -رحمه الله تعالى- في كتابه **"معرفة أنواع علوم الحديث"**، فإنه عقد النوع العشرين وترجم

له بقوله فقه الحديث مبينًا بعقده لهذا النوع أهمية التفقه في سنة رسول الله ﷺ؛ لأن التفقه في سنة النبي ﷺ هو في الحقيقة نصف العلم؛ نصف العلم يؤخذ من كتاب الله ﷻ ونصفه الآخر يؤخذ من سنة النبي ﷺ؛ والإجماع مستند إليهما محتاج إليهما.

والقياس الصحيح لابد أن يكون على وفق دليل، على وفق نص من كتاب الله جلا وعلا أو سنة رسوله ﷺ، أو يكون مستندًا إلى إجماع علماء المسلمين؛ فالتفقه في سنة النبي ﷺ نصف العلم كما قال الشافعي ﷺ في حديث أبي هريرة ﷺ في قصة النفر الذين جاؤوا أو في قصة الرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء فإن توضئنا به عطشنا أفنتوضأ من ماء البحر. فقال له النبي ﷺ: «هو الطهور الحل ميتته». الشافعي رضي الله عنه ورحمه يقول في هذا الحديث: **(هذا الحديث نصف علم الطهارة، ذلك أن الطهارة بالماء نصفها يكون بالماء الذي يكون على وجه البر أو يكون في البر والنصف الآخر بماء البحر)**. فقال فيه -رحمه الله تعالى- هذه العبارة العظيمة التي تدل على فقهه وشدة فهمه لأحاديث رسول الله ﷺ فقال: هذا الحديث مشتمل على نصف علم الطهارة.

وكذلك فقه سنة النبي ﷺ يمكن أن نقول: إنه مشتمل على نصف الفقه، لأن النصف الآخر مأخوذ من أين؟ مأخوذ من كتاب الله جل وعلا، وسنة النبي ﷺ استقلت بذكر أحكام متعددة لم ترد في كتاب الله سبحانه وتعالى.

ونصف علم الحديث أو نصف الفقه في الحديث هو معرفة علم الرجال لأنك إذا عرفت ما يتعلق بعلم الرجال وهو علم الجرح والتعديل وما يتعلق بذلك من القواعد والضوابط فإنك قد تمكنت من نصف علم الحديث، من نصف فقه سنة النبي ﷺ، واستطعت بذلك أن تكون على قدرة قوية في تمييز المقبول من المردود من سنة النبي ﷺ، بقي النظر الآخر في المتن، والمتن لا يخرج عن كونه محفوظًا أو معروفًا عن النبي ﷺ، والمردود منه نوعان وهما: -

- الشاذ.
- والمنكر

فإذا ما جمعت بين هذه الأمور فقد جمعت معرفة علم حديث رسول الله ﷺ. والسخاوي -رحمه الله- نبّه في **"فتح المغيث"** على أهمية الفقه في حديث رسول الله ﷺ، فإن له كلامًا معناه بعد أن ذكر الكلام على علوم الحديث المختلفة قال: **(ووراء ذلك الإحاطة بما تقدم: الاشتغال بفقه حديث رسول الله ﷺ، والتنقيب عن ما تضمنه من الأحكام والآداب المستنبطة منه)** ثم ذكر بعد ذلك عددًا من الكتب التي اهتمت بشرح سنة رسول الله ﷺ.

فإذًا هذا كله أيها الإخوة يدل على شدة عناية أهل الحديث لبيان أهمية الفقه في حديث رسول الله ﷺ، وأن التفقه في معانيه نصف العلم، وأن النظر فيما ورد من الأحاديث عن النبي ﷺ مؤدًا بإذن الله سبحانه وتعالى إلى منافع كثيرة وإلى علوم جليلة يحصلها الطالب يستقيم بها توحيده لله ﷻ، وتستقيم بها عبادته له

ﷻ، ويستقيم بها قوله وفعله ويستوي بها أمره بإذنه سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة، لأنه لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فلابد أن يكون من المتقرر في أذهاننا بارك الله فيكم أن التفقه في سنة النبي ﷺ من أعظم الأمور التي تتوجب على طالب العلم وذلك كله داخل في قوله ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم.

الإمام مالك -رحمه الله تعالى- من أئمة المسلمين، وله مذهبه المعتمد، وله أتباعه الذين ما زالوا يأخذون بأقواله ويعودون إلى نصوصه ويعملون بآرائه -رحمه الله تعالى-، وكان يوصي ابني أخيه أبي بكر وإسماعيل بن أبي أويس بضرورة التفقه في سنة رسول الله ﷺ، وما ذاك إلا لأهمية هذا المجال فإنه قال لهما في يوم ما: أراكما تحبان حديث رسول الله ﷺ. قالا: نعم. قال: إن أحببتما حديث النبي ﷺ وأردتما أن تنتفعا فأقلا منه وتفقه فيه.

أوصاهما بوصيتين: -

الوصية الأولى: ألا يكثرا في الأخذ عن كل أحد. وإنما يأخذا من حديث رسول الله ﷺ ما ينفعهما في أمور دينهما ودنياهما، لأن الأخذ عن كل أحد سبيل للوقوع في الأخذ عن المجهولين، والضعفاء، والمتروكين، وعن الكذابين، والوضاعين، وما شابه ذلك.

ويصبح عند الإنسان نهمٌ في الأخذ أو في تتبع أحاديث رسول الله ﷺ من غير التفات منهم إلى التفقه فيها والعمل بما ورد من مضامينها عن رسول الله

ﷺ، فأوصاهما بهذه الوصية العظيمة أن يأخذا منها ما يكفيهما من أمور دينهما ودنياهما ولا يأخذهما سُعار طلب الحديث، لأن طلب الحديث له شهوة في النفس، يفارق الإنسان من أجله الأوطان والديار وربما وقع في الأخذ عن كل أحد ووقعت له الأحاديث الغرائب والمناكير والموضوعات وما شابه ذلك، لكنه يأخذ عمن يوثق بدينه وبعلمه مع حرصه على ماذا؟ مع حرصه على التفقه في هذه الأحاديث عن رسول الله ﷺ وأن يعمل بها، وعلى هذا سار أهل الحديث -رحمهم الله تعالى- في الجملة فإن لهم مذهبهم المعروف، ويقرن أحيانًا بمذاهب الأئمة الأربعة فيقال: ذهب مالك والإمام أحمد إلى كذا. أو يقال: ذهب أبو حنيفة والشافعي إلى كذا وقال أهل الحديث بكذا.

ومن أعظم الذين اشتغلوا بحديث رسول الله ﷺ من الأئمة الأربعة المتبوعين: الإمام مالك، وتلميذه الشافعي، والإمام أحمد -رحمهم الله تعالى-. أما أبو حنيفة فإن كان قد تقدم عليهم جميعًا، مات سنة مائة وخمسين للهجرة ولم تبلغه الكثير عن رسول الله ﷺ، ما بلغه كما بلغ الشافعي ومن بعده. الشافعي مات سنة أربعٍ ومائتين، وقبله مالك سنة تسعٍ وسبعين ومائة، وبعدهما الإمام أحمد سنة أربعين ومائتين.

وهؤلاء تحصّل لهم وبخاصة لكثرة رحلاتهم الشيء الكثير من أحاديث النبي ﷺ، وكما تقدم، عقد العلماء -رحمهم الله تعالى- أنواعًا خاصة تدل على أهمية التفقه في حديث رسول الله ﷺ في كتب الاصطلاح، وقدمت بمثال

للحاكم -رحمه الله-، فإن النوع العشرين عنده من علم الحديث معرفة فقه الحديث.

قال -رحمه الله تعالى- بعد أن ذكر هذا النوع: **(إذ هو ثمرة هذه العلوم وبه قوام الشريعة)**. وهذا دالٌ على أهمية التفقه في حديث رسول الله ﷺ.

ثمرة ما يذكره العلماء من علوم الحديث في كتب الاصطلاح معرفة المقبول من المردود عن النبي ﷺ للعمل بالمقبول وترك المردود الذي لم يثبت عنه ﷺ. ثم إنه -رحمه الله- قد ذكر في هذا النوع عددًا كثيرًا من العلماء الذين عُرفوا بين الجمع بين رواية حديث النبي ﷺ ودرايته والتفقه فيه، وذكر عدة نماذج من أفهامهم، وذكر نصوصًا متعددة في شرحهم لبعض الأحاديث عن النبي ﷺ، وممن ذكره من العلماء ذكر محمد بن مسلم ا لزهري، وذكر سفيان الثوري، ويحي بن سعيد الأنصاري، وذكر الأوزاعي، وذكر الشافعي، وغيرهم من أهل العلم كعلي بن خشرم، وسفيان بن عيينة، وغيرهما. ونقل عن سفيان بن عيينة أنه قال: يا أصحاب الحديث تعلموا فقه الحديث لا يقهركم أصحاب الرأي.

وهذا النص فيه دلالة واضحة على ترغيب أهل الحديث في الفقه فيه، لأنهم إن فقهوا فيه فإنهم يكونون قد فقهوا على نور أنزله الله ﷻ على نبيه ﷺ لأن سنة النبي ﷺ وحي من الله كما تقدم، وإنما رغّب في هذا لما ذكره من العلة في آخره وهو خشية أن يقهرهم وأن يغلبهم أهل الرأي بآرائهم، لكن إن كان هناك مجادلة أو مناظرة أو بيان حكم مسألة فقيل فيها عن رسول الله ﷺ بدليل

ثابت مقبول عنه عليه الصلاة والسلام، فإن كل واحد يجب عليه أن يقف عند سنة النبي ﷺ فتكون الغلبة لمن؟

تكون الغلبة لمن اتبع النبي ﷺ، وإذا كان يعلم سنة النبي ﷺ في هذا الباب فإنه ليس بحاجة إلى أن يأخذ بآراء الرجال، ولكنه يجب أن يكون صاحب سنة وأن يكون صاحب أثر وأنه إذا تبينت له سنة النبي ﷺ فإنه لابد أن يتبعها وأن يعمل بها إذا كانت من الواجبات، وأما إذا كانت من السنن فله الخيار لأن السنة يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها كما هو معلوم، ولكن إذا اختُلف في أي مسألة من المسائل على وجه العموم فإن الرد فيها يكون كتاب الله جلا وعلا وإلى سنة رسول الله ﷺ ولا يقول الإنسان فيها برأيه، ومن أكثر ما عابه أهل العلم -رحمهم الله تعالى- على أصحاب الآراء أنهم لا يشتغلون كثيرًا بجمع حديث رسول الله ﷺ والتفقه فيه، لذلك وجد فيهم الضعفاء الذين لا يحتج بهم أهل الحديث، وأما أهل الحديث فإنهم يعتنون بالرواية وآدابها ويعتنون بالدراية وهي فقه هذه الأحاديث من حيث فهم معانيها ومن حيث معرفة مقبولها من مردودها، يعتنون بذلك أشد العناية، لأنها هي أدلتهم وهي أسلحتهم في مواجهة من قال برأيه في مسألة أو من خفي عليه حكمٌ فيها أو ما شابه ذلك يبرزون له سنة النبي ﷺ.

وكانت عناية أهل التحديث بفهم سنة النبي ﷺ فهمًا متكاملًا من الجوانب جميعها، وفي المسائل كلها لا يعتنون فقط مثلًا بمعرفة فقه الأحكام من أحاديث

النبي ﷺ، ولكن كانوا يعتنون بفهم النص الحديثي عن رسول الله ﷺ من الجوانب جميعها، وهذا من أهم الضوابط التي كان يسير عليها أهل الحديث - رحمهم الله تعالى- في التفقه في سنة النبي ﷺ، كانوا يثيرون فقهه وفوائده المتعددة في مختلف الفنون انطلاقًا من شرحهم لفقه النص كاملًا فيعتنون بفقهه من الفنون كلها ومن العلوم جميعها، لا يُغفلون شيئًا وبخاصة العلوم التي تكون ألصق بعلوم الشريعة وأعظم الجوانب التي كان أهل الحديث يعتنون بها في فهمهم لنصوص النبي ﷺ هو الجانب العقدي، جانب العقيدة فيعتنون عناية كبرى بذكر فقه حديث رسول الله ﷺ العقدي ويتوسعون في ذلك، ويقررون من خلال سنة النبي ﷺ ما كان عليه النبي ﷺ في جانب الاعتقاد ويبينون من خلال هذه الأحاديث عنه ﷺ ما فهمه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم منه، ويردون بها على مذاهب المتكلمين من الأشاعرة وغيرهم ويردون بها أيضًا على أهل الفرق من الخوارج والروافض أو ما شابه ذلك، أو على بعض أهل الأديان فيتأملون هذه النصوص تأملًا كبيرًا ويعتمدون على ما فيها من العقائد مما جاء عن رسول الله ﷺ ويحتجون بها على من خالفهم من المتكلمين وأتباع الفرق وأصحاب الأديان وما شابه ذلك مع النظر أولًا في كتاب الله سبحانه وتعالى.

ولذلك نجد أن الكتب التي أُلفت في السنة بمعناها العقدي الذي يُقابل البدعة في العصور المتقدمة في القرن الثاني الهجري والثالث وما بعدهما كانت مذكورة فيها الأحاديث عن النبي ﷺ بالأسانيد حتى الكتب التي رُد فيها على

بعض أصحاب الفرق كالردود على الجهمية وغيرهم نجد أنها مسوقة بالأسانيد إلى رسول الله ﷺ، وإلى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، كانوا يودعون فيها شيئًا من المرفوعات وشيئًا من الموقوفات، بل يودعون فيها شيئًا من أقوال التابعين ومن بعدهم وهو المعروف بالآثار المقطوعات على التابعين ومن كان بعدهم ممن سار على هدي السلف رضوان الله تعالى عليهم جميعًا فعنايتهم بإظهار الاعتقاد الصحيح والرد على المخالفين من خلال سنة النبي ﷺ كان من أعظم عنايتهم بفقه حديث رسول الله ﷺ والاستنباط منه، ثم إنهم يتناولون في فهمهم لسنة النبي ﷺ تفسير كتاب الله ﷻ وعلوم القرآن فيعتنون عناية ظاهرة بإيراد الآيات القرآنية في الاستدلال وفي الشرح ويذكرون شيئًا من شرح هذه الآيات على ضوء الأحاديث الثابتات عن رسول الله ﷺ وينبهون في ذلك على أسباب النزول وعلى الناسخ والمنسوخ من كتاب الله سبحانه وتعالى، وتحتوي شروحه وما أظهروه من أفهامهم وما ألهمهم الله ﷻ فهمه من سنة النبي ﷺ مباحث هامة من علوم القرآن ككتابة القرآن وبيان إعجازه وحفظ الله سبحانه وتعالى له، وأحكام سجود التلاوة ونحو ذلك من أنواع علوم القرآن.

فهذا جانب مهمٌ كان يعتني به أهل الحديث -رحمهم الله تعالى- نظرهم وفهمهم لسنة رسول الله ﷺ، بالإضافة إلى أنهم كانوا يعتنون عند النظر في سنة النبي ﷺ إلى فقه الأحكام وينقلون من مصادره ويهتمون بترجيحات الفقهاء عند شرحهم لأحاديث النبي ﷺ، ويبينون ما أسس عليه الفقه من الأحاديث

عن النبي ﷺ كأن يقولوا مثلًا: مدار الأحكام على ثلاثة أحاديث عن النبي ﷺ أو على أربعة أحاديث. أو يقولون: هذه الأحاديث هي الأحاديث التي جاءت عن النبي ﷺ في بيان أسس الإسلام أو ما شابه ذلك، ويريدون في نظرهم أو يعتبرون في نظرهم في متون هذه الأحاديث فهم الصحابة رضوان الله تعالى عليهم.

ويعتنون كذلك ببيان خلاف الفقهاء في فهمهم لهذه النصوص عن النبي ﷺ، ويذكرون أوجه استشهادهم بها على أفهامهم، ويذكرون أيضًا أدلة الفقهاء التي يستدلون بها على ما ذهبوا إليه من الأقوال من سنة رسول الله ﷺ.

وهذا يظهر لنا إظهارًا جليًا أنهم كانوا -رحمهم الله تعالى- يعتنون بفقه الأحكام من أحاديث النبي ﷺ، ويعتنون بما أخذ به الفقهاء، كل على فهمه أو ما أخذ به الفقهاء كل على فهمه من أحاديث النبي ﷺ لأنهم قد يتفقون على معنى حديث رسول الله ﷺ وقد يفهم منه فلان فهمًا لم يفهمه الآخر، أو يرى أنه لا يدل على ما ذهب إليه الآخر، أو ما شابه ذلك، ولكن العبرة في هذا هو الترجيح بين أقوالهم على ضوء الألفاظ الثابتة عن النبي ﷺ في هذا الحديث.

ومن أعظم الوسائل التي تؤدي إلى الترجيح في شرح معنى الحديث ومعرفة فقهه عن النبي ﷺ جمع ألفاظه عنه ﷺ، يقول الإمام أحمد -رحمه الله-: إذا لم تجمع ألفاظ الحديث لم تفهمه ووقع في بعض الأقوال عنه -رحمه الله تعالى-: إن ألفاظ حديث النبي ﷺ، أو قال: إن طرق حديث النبي ﷺ يُفسر بعضها البعض الآخر، وما عرفوا هذا -رحمهم الله تعالى- إلا بعد كثرة ممارستهم لحديث النبي ﷺ

ومعرفة فقهه عنه ﷺ على مراده وعلى فهم أصحابه رضي الله تعالى عليهم، يعتنون بالنظر في نص حديث رسول الله ﷺ بأصول الفقه وعلومه فإنهم إذا نظروا في النص فإنهم يعتنون بالبحث في مسائل أصول الفقه.

يعتنون بالبحث في علم أصول الفقه ومسائله على تعدد أنواعها سواء ما يتعلق بالأدلة من القرآن والسنة ونحوها أو ما يتعلق بالنسخ، أو الأمر، أو التكليف، أو دليل الخطاب، أو العموم والخصوص، أو الإطلاق والتقييد، ونحو ذلك من أصول الفقه.

ومن نظر في كتب الشروح الحديثية وكتب الفقه العام التي شرحت أحاديث النبي ﷺ، نجد شدة اهتمامهم بذلك وتنبيههم عليه يعتنون كذلك بعلوم اللغة من خلال نظرهم في أحاديث النبي ﷺ من نحوٍ، وأدبٍ، وبلاغة، وأمثال، وأشعار، وأصل اشتقاقات الألفاظ، وتصريفاتها، واختلافات اللغويين، والنحاة مع البيان والترجيح ويذكرون اللغات المتعددة في اللفظة الواحدة، أو ما يتعلق بشيء من الإعراب وما في الحديث من أوجه ودروب البلاغة وما شابه ذلك من الأمور المتصلة بعلوم اللغة.

يعتنون أيضًا عند نظرهم وتفقههم في أحاديث النبي ﷺ بسيرته ﷺ ومعرفة التاريخ فيعتنون بإيراد الفوائد والمعلومات في هدي النبي ﷺ وسيرته، وما جاء في أخبار الأنبياء من قبله عليهم الصلاة والسلام وأحوال العرب في الجاهلية، وكذلك نبذًا من أخبارهم وأشعارهم، وإظهار سيرة النبي ﷺ من خلال

الأحاديث المنقولة ﷺ قبل البعثة أو بعدها وما يتعلق بخصائصه ومعجزاته ودلائل نبوته ونحو ذلك من متعلقات هذا الباب، ويعتنون أيضًا بإيراد أو باستنباط السياسة الشرعية من خلال سيرته ﷺ، وهذا موجود ومتفرق في نواحٍ أو في كتب متعددة من الكتب التي تناولت أحاديث النبي ﷺ بالشرح، أو بالتحشية، أو بالتعليق، ونحو ذلك.

وإن كان لا يوجد أو لا أعلم أنه يوجد كتابٌ مستقل خاص بهذا، أعني ببيان سياسته الشرعية ﷺ من خلال سيرته ﷺ إلا ما يوجد مثلًا في بعض الكتب المؤلفة في عموم سياسته الشرعية ﷺ وما ذكروه من أمثلة في ذلك، لكن فيما يتعلق بسياسته الشرعية ﷺ من خلال سيرته ﷺ فإنه أمر ما زال بحاجة إلى عناية ماسة من الباحثين في مثل هذا العصر، وعلى كل حال عناية أهل الحديث بدراسة النص الحديثي من جميع جوانبه مما يجلي ويبرز فقهه كما جاء عن النبي ﷺ وما فهمه أصحابه رضوان الله تعالى عليهم منه مع الدقة والتحرير والتحقيق.

فأهل الحديث -رحمهم الله تعالى- اعتنوا بفهم حديث رسول الله ﷺ من جميع جوانبه لكن مع بيانهم لهذه المسائل من خلال نظرهم في حديث رسول الله ﷺ فإنه لابد أيضًا أولًا من التنبيه على ضابط مهم عندهم ألا وهو تمييز المقبول من المردود من سنة النبي ﷺ، وأنه لابد من التحقق من ثبوتها لأنه إذا اعتنى الإنسان بفقه حديث رسول الله ﷺ وهو يعلم أنه ليس بثابت عنه ﷺ فإن جهده فيما يتعلق بفهم هذا النص الحديثي من جميع جوانبه وكثرة تفريعه وتفريعه

وإيراده للمسائل في شرحه لمثل هذا النص قد يكون ليس له تلك الجدوى، لماذا؟ لأن النص ليس أصلًا ثابتًا، ليس هو في الأصل بثابت عن النبي ﷺ، فإذًا لابد أن يسبق هذه الأمور التحقق من ماذا؟

لابد أن يسبقها التحقق من ثبوت النص عن النبي ﷺ وشدة التحري والتوقي عند شرحه أو عند فهمه أو عن الاستشهاد به، فينبغي للمتأمل للنص الحديثي عن رسول الله ﷺ إذا أراد أن يستشهد به على معنى من المعاني أو على حكم من الأحكام أن يتحرى ثبوته عن النبي ﷺ وأن يتحقق من كونه من قسم المقبول عن النبي ﷺ، وأن يترك النظر في الأحاديث الواهية أو المنكرة أو الموضوعة على النبي ﷺ.

وإذا أراد أن يستنبط الفقه بجميع أنواعه سواء أكان في العقيدة، أم في الفقه العام، أم في السيرة، أم في اللغة، أو ما شابه ذلك من حديث ضعيف أن ينبّه أولًا على ضعفه عن النبي ﷺ، وأن هذه المعاني المستنبطة منه متوقفة على ثبوت الحديث عن رسول الله ﷺ.

وآفة كثير من الناس أنه كحاطب ليل يقصد ويعمد إلى أحاديث النبي ﷺ، وربما نشرها ونشر فقهها بين العامة لإرادة مثلًا القص عليهم أو شد انتباههم من خلال النظر أو من خلال إيراد هذه الأحاديث عن النبي ﷺ وهي ليست بثابتة، وهذا فعل لا ينبغي، لكن طالب العلم لابد أن يعتني بمعرفة المقبول من المردود من سنة النبي ﷺ.

وقد أحيا بعض أهل العلم -رحمهم الله تعالى- في العصور المتقدمة هذا الاهتمام، وأحيوا الانتباه إلى أهمية ما يُنقل عن النبي ﷺ من الأحاديث هل هي ثابتة أو ليست بثابتة، فأصبح الناس يسألون بعد أن كان يجهلون أن أحاديث النبي ﷺ فيها المقبول والمردود، يسألون هل هذا الحديث ثابت عن النبي ﷺ أو ليس بثابت، وما كان يعرف أن من أحاديث النبي ﷺ المقبول والمردود إلا القليل من الناس ممن يشتغلون بعلوم الشريعة.

وأما عامة الأمة فإن هذه المسألة كانت مغيبة عندهم، ولكن بعد انتشار العلم والاهتمام بهذه المسألة أصبح طلاب العلم ينبهون عامة المسلمين إلى ضرورة التحري والتوقي فيما يُنقل من الأحاديث عن رسول الله ﷺ، ويبينون له ما ثبت عنه ﷺ، وما لم يثبت عنه ﷺ.

ومما يحضرني في هذا أن طالب علم من طلاب الجامعة الإسلامية قرأ على جماعة من العامة في يوم ما من كتاب ما، فمر به حديث فقال: ولكن هذا الحديث ضعيف عن النبي ﷺ. فقاطعه أحدهم مستعجلًا قائلًا له: الضعيف أنت لا النبي ولا أحاديث النبي ﷺ، الضعيف أنت. كيف تقول: هذا حديث يُنقل عن النبي ﷺ وتقول: إنه ضعيف. وهذا ما سببه أيها الإخوة؟

- سببه شدة الجهل بما نُقل عن النبي ﷺ.
- وسببه أيضًا: تقصير بعض طلاب العلم في تفقيه الناس في هذه المسألة وتنبيههم عليها.

ولكن لو وجد الاهتمام بطلب العلم ووجد الاهتمام من طلاب العلم في إبراز الأحاديث الثابتة عن النبي ﷺ، وتنبيه عامة المسلمين على أن الأحاديث المنقولة عن النبي ﷺ فيها المنقول والمردود لقويت عنايتهم بهذه المسألة، ولعلموا أن الأحاديث المنقولة عن النبي ﷺ يجب أن نعرف أولًا أنها ثابتة أو ليست بثابتة، ولابد أن نتحرى عند الاستشهاد بها هل هي من المقبولة أم من المردودة.

كم من واحد جاءني خلال الحج الماضي وفي مواسم متعددة يسأل عن زيارة قبر النبي ﷺ عقب الحج فإذا ما قلت له: إن هذا بدعة ولا يجوز شد الرحل إلى قبر النبي ﷺ ولكن إذا جئت إلى المدينة فاقصد زيارة مسجده ﷺ أو ما شابه ذلك يقول: لكن يا أخي النبي ﷺ يقول: **"من حج ولم يزرني فقد جفاني"** فكيف أحج ولم أزر النبي ﷺ، كيف أجفو النبي ﷺ؟ فإذا ما قلت له: هذا حديث موضوع عن النبي ﷺ. يقول لك: وما هو الموضوع؟ ما معنى الموضوع؟ تقول له: هذا حديث مكذوب على النبي ﷺ يقول: وهل هناك أحد يكذب على النبي ﷺ؟ يقول: المشايخ يذكرون هذا في حلقهم وفي دروسهم أو ما شابه ذلك. أقول له: الذي يذكر مثل هذا فإنه قد وقع في خطأ عظيم فحمل العامة على العمل بحديث موضوع على النبي ﷺ، قد يكون يعلم أنه موضع عليه ﷺ ولكنه لم ينبه على وضعه ترغيبًا للناس في زيارة قبر النبي ﷺ وهذا اجتهاد منه وأمره إلى جل وعلا.

وقد يكون جاهلًا بوضعه، قد يكون قد تلقفه عن النبي ﷺ وهو لا يدري أو تلقفه عن بعض أهل العلم وهو لا يدري أهو ثابت عن النبي ﷺ وهو ليس بثابت عنه ﷺ. فلابد عند نقل الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن يعتمد الإنسان على المقبول من الأحاديث عن النبي ﷺ، وألا ينقل شيئًا لم يثبت عن النبي ﷺ إلا مع بيان حكمه، وكذلك لا يُرتب الفهوم والمعاني على الأحاديث غير الثابتة عن النبي ﷺ، والحمد لله قد تركنا النبي ﷺ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ إلا هالك.

والنبي ﷺ ما مات إلا وقد بيّن الشريعة كلها وشهد له الله سبحانه وتعالى بذلك، وبلّغ عنه أصحبه رضوان الله تعالى عليهم، ونقلت لنا أحاديثه ﷺ جميعًا. والله ما ترك أحدٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، أو ما ترك أصحاب النبي ﷺ حديثًا إلا وبلغوه لنا وأدوه إلينا ولهم في ذلك الأجر والثواب من الله سبحانه وتعالى.

وليس فيه خيرٌ فيه هذه الأمة في أي زمان وفي أي مكان إلا وللنبي ﷺ الفضل الأول بعد فضل الله سبحانه وتعالى، ثم يأتي فضل أصحاب رسول الله ﷺ لأنهم هم حفظة الشريعة وهم نقلتها فأدوا إلينا ما سمعوه من رسول الله ﷺ، وجميع الأحاديث قد وصلت إلينا عن رسول الله ﷺ، فلسنا بحاجة ولله الحمد إلى نقل غير الأحاديث الثابتة عنه ﷺ في المقبول ما يغني عن المردود بفضل الله ﷻ ومنّه تبارك وتعالى.

فإذًا لا نعتمد على مجرد نقل الحديث عن رسول الله ﷺ بل لابد أن نتحقق الحديث الثابت عن النبي ﷺ وأن نفهمه فهمًا سليمًا وأن نؤدي هذا الفهم إلى الأمة بعد ذلك. هذا من أعظم الضوابط التي يجب أن ننبه عليها في فهم سنة رسول الله ﷺ.

من ضوابط فهم السنة عقب هذا الضابط وهو: -

- التحقق من ثبوتها عن النبي ﷺ.
- أن تُفهم سنة النبي ﷺ على ضوء ما ورد في كتاب الله ﷻ.

لأن سنة النبي ﷺ المقبولة إذا لم تكن منسوخة فإنه لابد أن توافق كتاب الله ﷻ، ولابد أن تتفق معه في الحكم ولا يمكن أن تكون هناك سنة ثابتة عن النبي ﷺ وليس منسوخة معارضة لكتاب الله ﷻ، وأهل الحديث عندهم تلازم قوي بين المصدرين بحيث يتوقف أحدهما على الآخر في الفهم والاستنباط باعتبار صدورهما من مشكاة واحدة قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[النحل: ٤٤].

﴿والذكر﴾ شامل لكتاب الله ﷻ وسنة النبي ﷺ، ونحن نعلم مثلًا أن الله ﷻ قد أمرنا بإقامة الصلاة، لو لم يأت في سنة النبي ﷺ ما يبين عددها ويبين أوقاتها، وأركانها، وواجباتها، وسننها، وكيفية أدائها، كيف لنا أن نقيم الصلاة؟

الله سبحانه وتعالى أيضًا أمرنا في كتابه أن نؤدي الزكاة، لو لم يأت سنة النبي ﷺ ما يدل على أنواع الأموال الزكوية وعلى شروط الزكاة وعلى مقاديرها

وعلى كيفية إخراجها، كيف يمكن لنا أن نؤدي الزكاة؟ ، الله ﷻ فرض علينا الحج في كتابه والنبي ﷺ قال: «لتأخذوا عني فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا» ووقع في بعض الروايات أنه قال: «لتأخذوا عني مناسككم» فلو لم يرد في سنة النبي ﷺ بيان صفة الحج عنه ﷺ كيف للمرء المسلم أن يؤدي حج بيت سبحانه وتعالى.

فالسنة لابد أن تُفهم أولًا على ضوء كتاب الله ﷻ وهي شارحة له ومبينة لما فيه كما بين الله ﷻ في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ، فإذًا أنت أيها المرء المسلم لا تفهم سنة النبي ﷺ بمعزل عن القرآن بل افهمها على ضوء ما جاء في كتاب الله سبحانه وتعالى، والسنة كما تقدم معنا حجة بذاتها ومستقلة بالتشريع مما لم يرد في كتاب الله سبحانه وتعالى، وكنت قد ضربت أمثلة لذلك في اللقاء الأول.

فإذًا إذا أردت السلامة والنجاة فلا تقل: آخذ بالسنة وأما القرآن فإنه مستغلق علي ولا أستطيع أن أنظر فيه ولكن آخذ من الأحكام ما ورد في سنة النبي ﷺ. وقد يحصل هذا من بعض الناس، وهناك أحاديث تُنسب إلى النبي ﷺ وهي موضوعة تحذر من النظر في القرآن والاستدلال به والتفقه في معانية، وتحذر من القول في تفسيره، وهذه من وضع الزنادقة، أي أرادوا أن يهدموا بها دين الله ﷻ، بل نحن نفهم الشريعة كتابًا وسنة كل منهما مكملٌ للآخر وهما متلازمان وهما مترابطان فلا نكتفي بالقرآن ونعرض عن سنة ولد عدنان ولا

نكتفي بالسنة ونعرض عن كتاب الله سبحانه وتعالى، بل لابد من النظر فيهما جميعًا ولابد من التفقه بهما جميعًا.

وأعظم ما تُفسر به سنة النبي ﷺ كتاب الله ﷻ، وأعظم ما يُفسر به كتاب الله ﷻ بعد تفسير القرآن بالقرآن نفسه سنة النبي ﷺ.

من ضوابط فهم السنة أيها الإخوة: أن نفهمها على ضوء النصوص الأخرى في السنة نفسها، أي نفهم سنة النبي ﷺ بسنة النبي ﷺ، لذلك قدمت عن الإمام أحمد -رحمه الله تعالى- أنه ماذا قال؟ قال: حديث النبي ﷺ: لا تفهمه إلا إذا جمعت ألفاظه.

وقال -رحمه الله تعالى-: طرق حديث النبي ﷺ، أو ألفاظ حديث رسول الله ﷺ يُفسر بعضها البعض الآخر، هذا من أعظم ما تُفهم به سنة النبي ﷺ أيضًا. أن تفهم السنة بجمع ألفاظها وتجمع الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ في الباب الواحد في مكان واحد.

لذلك كان السلف رضوان الله تعال عليهم من رواة الحديث ونقلته يتذاكرون الحديث على الأبواب، فإذا ما جاء واحد منهم إلى صاحبه أو إلى زميله في الطلب أو ما شابه ذلك قال له مثلًا: ماذا تحفظ في دعاء النبي ﷺ في الاستفتاح؟ فيقول: أحفظ حديث فلان أخبرني به فلان عن فلان عن النبي ﷺ به، وأحفظ فيه حديث فلان حدثني به فلان عن فلان عن فلان عن النبي ﷺ أنه قال: كذا وكذا.

انظروا إلى "**سنن النسائي**" مثلًا سواء أكانت "**الكبرى**" أم "**الصغرى**" وانظروا إلى ذكره اختلاف الناقلين في ألفاظ الأحاديث عن رسول الله ﷺ. لماذا يصنع هذا؟ ليجمع الألفاظ في مكان واحد.

انظروا إلى صنيع الإمام مسلم -رحمه الله تعالى- في "**صحيحه**" فإنه كان يعتني بتمييز الألفاظ عناية كبيرة فيقول مثلًا: حدثني محمد بن عبد الله بن نمير، ويحيي بن يحيى النيسابوري. واللفظ ليحيى. ثم يقول في آخره: وزاد محمد بن عبد الله بن نمير كذا وكذا.

انظروا إلى الكتب التي رتبها أهل العلم -رحمهم الله تعالى- على الكتب والأبواب الفقهية يوردون في الباب الواحد عددًا من الأحاديث عن النبي ﷺ كلها في مسألة واحدة. لماذا؟

أرادوا أن يجمعوا ألفاظ الأحاديث التي جاءت عن النبي ﷺ في هذا، وإذا لم يوردوها أشاروا إليها، كما يفعله الترمذي -رحمه الله- فإنه قد يسوق الحديث في الباب ثم يقول: وفي الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد وعائشة وجابر. وكان مثلًا ساق الحديث الأول من طريق ابن عباس رضي الله تعالى عنهم جميعًا. ما الغرض من هذا؟

الغرض من هذا حصر الأحاديث عن النبي ﷺ في الباب الواحد لفهمها وفقه معناها ثم وجدت بعد ذلك الكتب التي ألفت على حسب الموضوعات، كتاب كامل في موضوع واحد "**الطَهور**" لأبي عبيد. أحاديثه كله في ماذا؟ في

مسائل الطهارة، **"ما جاء في الحوض والكوثر"** لبقي بن مخلد. كل أحاديثه في ماذا؟ في الحوض والكوثر عن رسول الله ﷺ، كتاب **"الإيمان"** لابن أبي شيبة جمع فيه ما وصله أو ما اختاره من الأحاديث التي وردت في مسائل الإيمان عن رسول الله ﷺ.

هذا كله فهم لسنة النبي ﷺ بسنته ﷺ، نحن كما تقدم، أعظم ما تُفهم به سنة النبي ﷺ أن تُفهم بالقرآن ثم تُفهم بسنته ﷺ. هل نفهم سنة النبي ﷺ على مزاجنا، أو على آرائنا، أو على حسب اجتهادنا؟ لابد أن ننظر في كتاب الله وأن ننظر في سنة النبي ﷺ ثم لابد أن نفهما لابد أن نفهما على ضوء فهم أصحاب رسول الله ﷺ. وهذا هو الضابط الثالث.

من أعظم ما يعتني به العلماء -رحمهم الله تعالى- في فهم السنة: -

- أولًا: التحقق من ثبوتها.
- ثانيًا: الفهم على ضوء كتاب الله ﷻ.
- ثالثًا: فهمها على سنة النبي ﷺ.
- رابعًا: فهمها على ضوء فهم أصحاب رسول الله ﷺ.

وقد تقدم الكلام في هذا.

من أعظم الضوابط لفهم سنة النبي ﷺ معرفة ناسخها من منسوخها، وهذا فن عظيم ولا يبرع فيه إلا القليل من الرجال، لذلك المؤلفات في معرفة

ناسخ حديث رسول ﷺ ومنسوخه قليل وأكثرها مفقود، وسوف أتكلم عنها بإذن الله ﷻ فيما سيأتي من الزمان بإذنه ﷻ.

لكن تعرفون معنى النسخ وأنه يدور على عدة معانٍ منها: النقل، والإزالة. وأن تعريفه الاصطلاحي أن يُرفع حكم ثابت بخطاب متقدم بخطاب آخر ثابت متراخٍ عنه، أو نحو هذا من التعريفات التي يذكرها الأصوليون أو أهل الحديث.

ويُعمل هنا بالناسخ، ويترك العمل بالمنسوخ وهو فنٌ مهم، لذلك يقول الإمام أحمد -رحمه الله-، يقول: ما عرفنا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه حتى جالسنا الشافعي فنبهنا إلى هذه المسألة. هذا معنى كلامه. وهذا يدل على أهميتها.

فإذًا معرفة الناسخ من المنسوخ من حديث النبي ﷺ فنٌ مهم، وقد صنف فيه جماعة من العلماء ولكن غالب المصنفات التي صنفت في هذا الباب لم تزل في حكم المفقود، لم تصل إلينا، ووصلنا منها عدد قليل كالاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للحازمي -رحمه الله- وهو من علماء القرن السادس.

فالعناية به عناية مهمة، وتعرفون أن الناسخ والمنسوخ يُعرف من طرق متعددة وسوف أوضحها فيما سيأتي بإذن الله ﷻ من لقاءات قادمة. لكن لو نظرنا في بعض كتب الفقهاء أو في بعض كتب الشروح الحديثية في ذكر فقههم، أو ما فهموه من بعض النصوص الحديثية عن النبي ﷺ أنه إذا ضاق بهم

المخرج، إذا كانت هذه الأحاديث فيها شيء من التعارض ادعوا فيها النسخ مباشرة من غير عودة إلى الطرق التي يُعرف بها ناسخ الحديث من منسوخه. وهذه مسألة مهمة أيها الإخوة. لماذا؟

لأنه ليس كل واحد يدّعي النسخ بحديث عن النبي ﷺ يُقبل قوله، لأنهم قد يدّعون النسخ للخروج من المسألة أو لأنهم يقولون: بما أنه لا يمكن لنا الجمع بين هذه الأحاديث ولا يمكن لنا الترجيح فإنهم لا يتوقفون، البعض منهم لا يتوقف. فيقول: وهذا يدل على أن الحديث الفولاني منسوخ من غير نظر في طرق النسخ كأن يُذكر نسخه عن النبي ﷺ أو عن الصحابي أو يُعلم التأريخ. وهذا يدلنا على أهمية المسألة كما تقدم.

النسخ ليس لمجرد أن هذا الحديث أو أن هذه الأحاديث التي ظاهرها التعارض لا يمكن الجمع بينها أو لا يمكن الترجيح أن نميل بالقول إلى النسخ مباشرة، لا. هذه الطريقة ليست طريقة علمية منهجية فلابد من التأني في القول بالنسخ، لأن النسخ له طرق، ولا يمكن أن نقول: إن هذا الحديث منسوخ عن النبي ﷺ إلا إذا كان عندنا دليل على نسخه، أو تكون عندنا طريقة وقفنا بها على أن هذا الحديث منسوخ عن النبيﷺ.

وكم قال جماعة من الفقهاء بحديث ثبت نسخه عن رسول الله ﷺ إلى وقتنا هذا لكن التفقه في النصوص المنقولة عن النبي ﷺ وجمع ألفاظها في مكان

وفي موضع واحد فإنه قد يدلنا على معرفة الناسخ من المنسوخ في حديث رسول الله ﷺ.

ولعلي أقف عند هذا الضابط لاستكمال بقية الضوابط في اللقاءات القادمة بإذن الله ﷻ إفساحًا للأذان لأن وقته قد اقترب جدًا، وأسأل الله سبحانه وتعالى لي وللجميع العلم النافع والعمل الصالح.

اللّٰهم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا أن تجعل اجتماعنا هذا اجتماعًا مرحومًا، وتفرقنا بعده تفرقًا معصومًا، اللّٰهم إنا نسألك أن تجعلنا من عبادك الموفقين للعلم والعمل والإخلاص فيهما أنت ولي ذلك والقادر عليه، والله تعالى أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.